التعصب العرقي الذي تقوم عليه الدولة برمتهـا فلا حديث عنه .

ان ما يستحق الانتباه في هذا الكتاب هو الطريقة التي كتب بها ، هذا الجانب ، في نظرنا ، اهـم بكثير من المعلومات التي وردت فيه . فرواية تاريخ المخابرات الاسرائيلية تصبح نوعا من الادب هو من « الملحمة » أقرب . ايسير هارئل ، مدير المخابرات الاسرائيلية حتى سنة ١٩٦٣ ، كما يقدمه ميشيل بار زوهار مؤلف : « بن غوريون ، النبي المسلح » (وهو اسرائيلي صهيوني) ليس موظفا ساميا . انه « بطل اسطوري » . والمخابرات الاسرائيلية تقدم كمؤسسة بديعة ، جديرة بكـل اعجاب . بالاضافة الى حداثة عهدها وفعاليتها ، فهي مبنية على «قواعد اخلاقية» تحسدها عليها كل زميلاتها. من ذلك انه يحظر على الجاسوسات الاسرائيليات استعمال ميزاتهن الجنسية لنيل اهدافهن . لكن ايسير هارئل لا يمتنع عن استعمال العاهرات في مختلف المهام . والحرص على امن الدولة لا يمنع المخـابرات الاسرائيليـة من التضحيـة ببعـض الجواسيس بتكليفهـم بعمليات انتحارية ولا مـن اغتيال بعض العلماء الالمان العاملين في مصر ولا من استعمال جواسيس نازيين ثم تصفيتهم في الوقت المناسب . فضلا عن اخلاق الصهيونية ذاتها التي ليست المخابرات الا جهازا للدفاع عنها وعن امـن دولتها .

بيد انه لا ينبغي مناقشة ميشيل بار زوهار على الارضية التي اختارها . فهو يسعى ، طيلة ٣١٨ صفحة ، باسلوب قصصي مشوق ، الى ان يوقع قراءه في فخ الايجابية البحت : انتشار المخابرات الاسرائيلية الواسع و « فعاليتها المذهلة » . كفاءة ايسير هارئل النادرة التي مكنتـه من تسلق سلم المراتب من اسفله الى اعلاه ، من مهاجر روسي بسيط يعمل في الكيبوتز الى مدير لكل المخابـرات يتمتع بصداقـة بن غوريون وتقديره الخـاص . والمؤلف يشدد على هذا الجانب حرصا منه علـى اعطاء مثال عن عبقرية « الشعب اليهودي المؤمن بقضيته » . وهو بتمجيده المخابرات الاسرائيليـة لا يرمي الا الى تمجيد « دولة اسرائيل الفتيـة » صاحبة المعجزات . ومثل كل صهيوني لا يخطر على بال المؤلف ان يتساءل عن خلفيات كل ما يقصه من بطولات ولا عن الاسباب الحقيقية ، غير عبقريـة هارئل ، « للنجاح الباهر » الذي حققته المخابرات الاسرائيلية . كالخبرة التي اكتسبها اليهـود في الجيش البريطاني اثناء الحرب العالمية . واستعمال اليهود الاجانب من انجليز وفرنسيين والمان واميركان وغيرهم ، حيث ان الحدود العربية مفتوحة امامهم بصفتهم اجانب .. وتعاطف اغلبية اليهود العرب مع دولة اسرائيل والعمل لحساب مخابراتها .

واضح ان هذا الكتاب ليس الا جزءا من الحـرب النفسية الواسعة التي تشنها اجهـزة الاعـلام الصهيوني . فالتركيز على دور الجاسوسية يقصد به اولا بعث الخوف في قلوب العرب من السوبرمان الصهيوني الذي له دراية بشكل ما يظهرون ومـا يضمرون وله القدرة على ضرب المتمردين منهم حيث وجدوا لانه موجود في كل مكان ، ويحاول الكتاب ان يظهر المجتمـع الاسرائيلي مجتمعا منسجمـا ومتلاحما بفضل جيشه ومخابراته .

محمد شعيرات